

## تجليات صورة اليهودي في رواية "حمام اليهودي" لعلاء مشذوب

*Manifestations of Jew 's image in "The Jew's bathroom" of Alaa Mechdoub*

ط.د/ نذير بيبي  
د. زهيرة بارش

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة محمد مين دباغين- سطيف (الجزائر)

مخبر السرديات والأنساق الثقافية - جامعة سطيف 2-

Na.bibi@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2022/03/15

تاريخ القبول: 2021/10/25

تاريخ الإيداع: 2021/04/01

ملخص:

شهدت الساحة الأدبية العربية مع مطلع الألفية الجديدة تصاعدا لحضور الشخصية اليهودية في المتون الروائية، وهذا تحت تأثير أصوات تدعو إلى الانفتاح الثقافي وترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي مع الآخر، ونبذ التعصب الأيديولوجي والعرقى، بغية الاندماج في هذا العالم الجديد الذي اتسم بتغيرات مست مختلف جوانب الحياة، غير أن هذا الأمر لم ينل رضا بعض النقاد والمفكرين العرب الذين يرفضون التوجه الجديد في الكتابة عن اليهود، ولقد سلطت هذه الورقة البحثية الضوء على تجليات صورة اليهودي في رواية "حمام اليهودي" للروائي العراقي علاء مشذوب الذي سعى لتصوير جانب من حياة الأقلية اليهودية في العراق زمن الدولة العثمانية وما تلاها من احتلال بريطاني، مبرزا دورهم في الحياة السياسية والاقتصادية في تلك الفترة، مشيرا إلى دور الحركة الصهيونية في توتر العلاقات بين العرب المسلمين وبعض اليهود الرافضين للهجرة إلى فلسطين.

الكلمات المفتاحية: تجليات؛ صورة؛ اليهود؛ الرواية العربية؛ علاء مشذوب؛

### **Abstract:**

At the beginning of the new millennium, the Arab literary scene witnessed an escalation of the presence of the Jewish character in the narrative texts this is under the influence of voices calling for cultural openness, consolidating the values of tolerance and peaceful coexistence with others, and rejecting ideological and ethnic fanaticism, in order to

integrate into this new world that has been characterized by changes affecting various aspects of life.

However, this matter did not satisfy some Arab critics and thinkers, who rejected the new approach to writing about the Jews. This research paper sheds light on the manifestations of the image of the Jew in the novel "The Jew's bathrom" by the Iraqi novelist Alaa Mehdoub, who sought to depict an aspect of the life of the Jewish minority in Iraq during the era of the Ottoman Empire and the british occupation that followed it, and Highlighting their role in the political and economic life of that period, pointing to the role of the zio nist movement in the tension of relations between Muslim Arabs and some Jews who refused to immigrate to Palestine.

**key words:** manifestations; picture; Jews; Arabic novel; Alaa mehdoub

مقدمة:

تطرح قضية اليهود في الرواية العربية مسائل عديدة في ظل وجود أقلية يهودية مقيمة على الأراضي العربية، خاصة ما تعلق بالهوية والانتماء، ولأن العالم العربي يعيش وضعا غير مستقر ويشهد توترات سياسية وحروب بالوكالة على أراضيه، ومع تزايد العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني المحتل، وهرولة بعض الدول العربية إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني، حاولت الرواية العربية المعاصرة إثارة هذه القضية بهدف استفزاز المتلقي العربي عبر هذا الموضوع الحساس، ولقد شكل الروائي العربي مخياله السردي استنادا على هذه المعطيات، حيث لا يمكن للأدب أن يكون معزولا عن المجتمع وقضاياها، ولقي هذا الموضوع اهتماما كبيرا من طرف النقاد والمفكرين في محاولة لتحليل الظاهرة وتقصي مدى وعي الذات العربية المسلمة في مقابل الآخر اليهودي، ومدى قبول العربي لمبدأ التعايش مع الآخر المختلف عقديا. فما هو واقع اليهود في الرواية العربية؟ وكيف تجلت صورة اليهودي في رواية "حمام اليهودي" للروائي علاء مشدوب؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة اعتمادا على خطوات المنهج التاريخي الوصفي، حيث يساعدنا المنهج التاريخي على تتبع قضية سرد اليهود في الرواية العربية، فيما يفيدنا المنهج الوصفي في وصف صورتهم في رواية "حمام الذهب".

1. من الصورة إلى الصورولوجيا:

يعد ميدان الصورة من أبرز الميادين التي تشتغل عليها الدراسات الأدبية المقارنة، وهو ميدان تتشعب مجالاته وتتداخل، حيث تخضع الصورة في تشكيلها لمعطيات تاريخية ومتغيرات سيكولوجية وأيديولوجية، ترتبط بالأساس بطبيعة العلاقة بين الثقافة الناظرة المنشئة للخطاب والثقافة المنظورة موضوع الخطاب.

## 1.1. تعريف الصورة:

### أ. لغة:

تنوعت التعريفات اللغوية للصورة لكنها لم تختلف في تحديد ماهيتها، حيث جاءت عند ابن منظور أنها من "صَوَّرَ: في أسماء الله تعالى: المٌصوِّر وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها، على اختلافها وكثرتها"<sup>1</sup>؛ أي أنها من فعل التصوير الذي يعني إعادة رسم الشيء، أما الهنائي فوردت لفظة صورة عنده من الفعل "صَوَّرَهُ: جعل له صورة وشكلا ورسمه ونقشه، صور لي: خيل لي، تصور الشيء توهم صورته وتخيله"<sup>2</sup>؛ ويقصد هنا كل ما ارتسم في الذهن من أشكال وتمائيل وألوان، وهي إعادة تمثيل الأشياء ومشابهاها.

### ب. اصطلاحا:

يرى هنري باجو أن الصورة هي "تعبير أدبي أو غير أدبي، عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي"<sup>3</sup>؛ أي أنها كل تعبير يشير إلى اختلاف منظومتين ثقافيتين، وتعني أيضا "الكيفية التي ينظر وفقها مجتمع إلى نفسه ويتأمل فيها، وكذلك الكيفية التي يفكر بها بالآخر ويحلم به"<sup>4</sup> فهي توحى بوجود نمطين مختلفين يمثل كل منهما بيئة لها خصوصياتها التي تميزها عن البيئة الأخرى، لذلك فهي تقوم على تعابير متعارضة ومتكاملة في الوقت ذاته، وتتحكم فيها ثنائية الهوية والغيرية. ويذهب هنري باجو إلى أن "كل صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلا (بالأنا) بالمقارنة مع الآخر، وهنا بالمقارنة مع مكان آخر"<sup>5</sup> ويقصد بذلك أن وجود صورة يستدعي مقارنة بين جهتين، أو جنسين، أو شعبين، أو مكانين مختلفين.

## 2.1. نشأة الصورولوجيا:

يقصد بالصورولوجيا العلم الذي يعنى بدراسة الصور التي يرسمها أدب شعب ما عن شعب آخر، بهدف كشف زيف الحقائق المرسومة وتعرية الصور النمطية المغلوطة، كما يكشف عن طبيعة الثقافة الناظرة وعلاقتها بالثقافة المنظورة. بدأ الاهتمام بهذا المجال في الدراسات الأدبية في أوروبا وتحديدا في فرنسا منتصف القرن التاسع عشر على يد المقارنين الفرنسيين أمثال

مدام دوستايل، وجون ماري كاريه، تزامنا مع بروز النزعة الوطنية في الأعمال الأدبية، "وانتشار الكتابات الغرائبية التي تبحث عن ميثية الآخر"<sup>6</sup>، قبل أن ينتقل هذا العلم إلى الساحة العربية، بتأثير عدة أسباب "من ذلك الظاهرة الإستعمارية، على الرغم من جانبها السلبي، قد جمعت حولها دراسات أدبية وسوسولوجية وصورولوجيا جديدة بتتبعها من زاوية علاقة الأنا (المستعمر) بالآخر (المستعمر)"<sup>7</sup>؛ أي أن الحافز الوطني والقومي كان السبب الأول في اهتمام كثير من النقاد والأدباء بهذا المجال، وقد خص كبير المقارنين العرب غنيمي هلال كتابه "الأدب المقارن" بمبحث في مجال الصورة، وتنبأ فيه بأن هذا الميدان "سيكون من أوسع ميادين الأدب المقارن وأكثرها رواجاً في المستقبل، ذلك لأنه أيسرها منهجاً"<sup>8</sup>، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن "الصورة التي يرسمها أديب ما لمجتمع أجنبي لا تعبر عن مشكلات ذلك المجتمع وهمومه وقضاياها، ولا تنبع من التزام الأديب حيال المجتمع الأجنبي ومن رغبته في إصلاحه أو تغييره... فالصورة التي يرسمها الأديب لمجتمع أجنبي تنبع أولاً وقبل كل شيء آخر من مشكلات الأديب نفسه ومشكلات قومه في مواجهة الآخر"<sup>9</sup>، أما عن تشكل الصورة فمن الواضح أن "العوامل النفسية والاجتماعية تتضافر لخلق العناصر الهامة والأفكار العامة التي تلعب دورها في تكوين عقيدة شعب في شعب آخر"<sup>10</sup> لذلك يسعى الباحث في الصورة لكشف التخيلات التي تشكلها ثقافة شعب ما عن شعب آخر.

أما الصورة الروائية فهي "نقل فني، ومحاولة لتجسيم معطيات الواقع الخارجي بواسطة اللغة، لذلك فهي تساير أحيانا دلالات صور الحفر أو التصوير الشمسي... وقد تكون الصورة الروائية بمثابة انطباع غير أصيل يكونه فرد أو شعب عن فرد أو شعب آخر"<sup>11</sup> فهي لا تعني نقل الواقع الحسي كما هو، إنما إعادة تشكيل هذا الواقع في قالب سردي يربط بين ما هو حقيقي وما هو تخييلي، فيتم من خلالها تتبع حركات الشخصيات الروائية ورصد سلوكياتها ومواقفها من أحداث الرواية.

وقد تحدثت ماجدة حمود على أن فهم الآخر يتم عبر ثلاث أوجه، نوجزها على النحو الآتي<sup>12</sup>:

أ. التشويه السلبي: ويكون في حالة وجود عداً بين الثقافة الناظرة والثقافة المنظورة، فتؤدي تلك العلاقات العدائية إلى إنتاج صورة سلبية عن الآخر، نظراً لتغلغل مشاعر الكراهية والعداء اتجاهه، في مقابل الإعلاء من مشاعر الولاء والتضامن اتجاه الذات.

ب. التشويه الإيجابي: وهو الذي ترسم فيه ثقافة الآخر (الأجنبي) متفوقا بشكل مطلق عن الذات، وتنتج هذه الصورة عن الرؤية الانهيارية للآخر، وعقدة النقص التي تعاني منها الذات في مواجهة الآخر.

ج. التسامح: تأتي هذه الصورة القائمة على رؤية متوازنة للذات والآخر، تغلب فيها الرؤية الموضوعية البعيدة عن التعصب العرقي أو الديني أو الأيديولوجي، مما يسمح بزيادة التفاهم بين الشعوب، وتحتاج هذه الرؤية إلى نضج فكري يقوم على التأمل والتمثل لا على اعتماد أحكام مسبقة عن الآخر، كما تقوم على تجاوز تلك القوالب النمطية الجاهزة عن الآخرين.

### 3.1. أهمية الصورة في الدراسات الأدبية المقارنة:

تكمن أهمية دراسة صورة الآخر أدبيا في أنها تكشف عن الخلفيات التي ينطلق منها المبدعون في تحديد ملامح الآخر، كما تساهم في اكتشاف الأدباء لصورة بلادهم في الآداب الأخرى، وبالتالي تمكّنهم من معرفة مدى حقيقة أو زيف الصور المنقولة عن بلادهم، وتمكن أيضا من اكتشاف ثقافة جديدة يتم من خلالها إثراء الثقافة المحلية، وتساعد أيضا في إزالة سوء الفهم بين الشعوب الذي يُنتج تشويها لصورة الآخر، كما تفيد في تقريب وجهات النظر بين الشعوب المختلفة وزيادة التفاهم من أجل العيش بسلام في عالم تسوده المودة والتعاون.

### 2. حضور اليهود في الرواية العربية المعاصرة:

تكتسي العلاقات العربية اليهودية طابعا خاصا لدى المجتمع العربي عموما، والمبدعين بشكل خاص لكونهم يمثلون لسان الأمة وناقل قضاياها، لذلك حاول الروائي العربي رسم صورة لشخصية اليهودي انطلاقا من واقعه المعيش، ويرى باحثون أن الروائي العربي "يسقط بعض تجاربه المعيشية على بعض شخوص روايته، وهذا يعني أن الزمن الكتابي كان يترك أثرا على الزمن الروائي"<sup>13</sup>، ونشير هنا إلى أن "شخصية (اليهودي) من أكثر الشخصيات حفزا للمتلقي؛ حيث إن ورود هذه الشخصية يستثير لدى المتلقي مشاعر حادة ويستدعي لديه ذاكرة (فردية وجمعية) مثقلة بالحمولات التاريخية والفكرية والاجتماعية والنفسية"<sup>14</sup>؛ أي أن الخلفيات المشكّلة في العقل البشري تطرح تصورات مسبقة عن هذه الشخصية، وبالعودة إلى المخيال الأدبي العالمي نجد أن صورة اليهودي قد تميزت بالنمطية، حيث حضرت صور يغلب عليها الطابع السلبي، خاصة مع نهاية القرن التاسع عشر، حين كانت الجماعات اليهودية تعيش صراعا فكريا وطائفيا مع باقي المجتمعات الأوروبية بسبب الخصوصية اليهودية التي تتميز بالانعزالية والنظرة الاستعلائية عن الآخرين، فرسمت صورة لليهودي على أنه ذلك المنطوي الجبان والخائن والمُرّابي الذي يسعى لربح

المال بمختلف الطرق، وأما المرأة اليهودية فأكثر ما شاع عنها خروجها عن قيم وتقاليد اليهود<sup>15</sup>، وتعود هذه النظرة السلبية للشخصيات اليهودية إلى "عدم توافق اليهود دينيا وثقافيا مع الثقافة الغربية"<sup>16</sup>؛ فكانت الصور النمطية عن اليهود صناعة غربية في الأساس عكس ما يدعيه بعض اليهود بإرجاعها للفكر العربي الإسلامي.

تميزت صورة اليهود في الفكر الروائي العربي أثناء القرن الماضي بمواكبة الأحداث التاريخية التي كانت سائدة وقتها، حين كان الصراع العربي الإسرائيلي هو الغالب على المشهد، فرسمت صور تعكس العداء القائم، غير أن مطلع الألفية الجديدة عرف تصاعدا لنزعة ثقافية حاولت إخراج العمل الأدبي من السياق الديني والسياسي، بغرض "الفصل بين الدين والسياسة وإذابة الفروق بين الأديان رغبة في التعايش السلمي ودرء الفتن"<sup>17</sup>، فانطلق الروائيون تحت تأثير هذه النزعة في سياق لرسم ملامح الشخصية اليهودية، ويأتي الاهتمام بهذه القضية "تماشيا مع التحولات الكبرى التي شهدتها الساحة العالمية في ظل رواج ما يعرف بثقافة التسامح وتنامي الدعوات التي تطالب بالاعتراف بحقوق الأقليات"<sup>18</sup>، وبدأت تظهر ملامح ليهود البلاد العربية، وبما أن أحوال الذميين في البلاد الإسلامية قد اتسمت "بقدر من التسامح، تخللته في بعض الأحيان منغصات لا يمكن فهمها وتفسيرها إلا في ظل السياقات المحيطة بها"<sup>19</sup>، وانطلاقا من هذا الواقع الجديد اتجه المبدعون إلى تصوير اليهود الشرقيين؛ أي أولئك المقيمين في البلاد العربية، فظهرت صورا تبدو متعاطفة مع اليهودي، وقدم اليهودي كشخصية إنسانية وقابلة للتعايش، مما أثار جدلا وسط النقاد والباحثين.

### 3. تحولات الرؤية في سرد اليهود :

يرى بعض النقاد أنه من الطبيعي أن يسعى الروائي العربي إلى التمهدة مع الآخر وإرساء قيم التعايش والتفاهم معه، من خلال رسم صورة تكون خالية من التشويه وبعيدة عن النمطية المألوفة بهدف العيش في سلام مع الجميع، خاصة وأنه "كثيرا ما تؤدي إشكالية الأنا والآخر، أي توتر العلاقة بينهما، إلى رسم صورة مشوهة للذات وللآخر، إذ يضع كل واحد منهما الآخر في قالب نمطي"<sup>20</sup>؛ وهو ما سعى إليه الروائي العربي المعاصر، حيث اختار الابتعاد عن كل ما قد يزيد من العداء والتعصب وعمل على خلق جو يسوده التسامح، وما يلاحظ على هذه الروايات أنها قدمت يهودا رفضوا الصهيونية وهاجمونها، إذ تعالت "أصوات أبطال الروايات من اليهود الشرقيين برفض الصهيونية، وهو ما يشهد بتحول كبير في الحقبة الراهنة"<sup>21</sup>، وبالتالي يكون التنديد بالصهيونية من اليهود أنفسهم قبل غيرهم بغرض حصر الفكر الصهيوني ومحاولة التقليل من انتشاره.

واتسمت هذه الروايات أيضا بكونها لا "تسمح لُغة العنف، أن تسود فضاء الرواية، فالمكان المشترك، الذي يتشارك فيه المسلم واليهودي، يتيح نوعا من التواصل بينهما"<sup>22</sup>، حيث سعت إلى تجاوز المعيار الديني في رسم ملامح شخصية اليهودي، ويكون التركيز فيها على اليهودية كهوية وانتماء قومي وأيديولوجي، وتقوم هذه الروايات على لغة حوارية "تحتزم خصوصية الآخر في إلغاء المشاعر السلبية (التعصب والرفض والخوف) وإزالة سوء الفهم بين الأنا والآخر"<sup>23</sup>، ولقد عمد الروائيون إلى إبراز مدى الالتلاف القائم بين الذات العربية المسلمة والآخر اليهودي "إذ ثمة آفاق إنسانية رحبة، تضم البشر، مهما كان تنوع دياناتهم وأعراقهم وأفكارهم"<sup>24</sup>، من خلال الإشارة إلى الملامح المشتركة بين الثقافتين، وكذا تقاسم بعض السلوكيات من قيم وعادات مشتركة.

غير أن من النقاد من رفض هذا الأسلوب الجديد في التعامل روائيا مع قضية اليهود، مدرجين هذه الروايات ضمن ما يسمى بالتطبيع الثقافي، والذي يهدف المبدعون عبره إلى "تحقيق الشهرة من خلال استهداف جمهور واسع من الأشخاص غير المهتمين بالأدب والثقافة والدخول في صراع معهم"<sup>25</sup>، ويكون ذلك عبر إطلاق عناوين تحمل في طياتها دلالة لشخصيات أو فكر يهودي شائع، مما يستفز القراء ويدفع بهم لمحاولة التعمق في ثناياها، كما تسمح هذه الأعمال بالدخول في حوار ثقافي مع الآخر اليهودي، وبالتالي تفتح آفاقا لترجمتها، و"هناك شواهد كثيرة على أعمال تصدرت قوائم الكتب الأكثر مبيعا بسبب نجاحها في الحصول على تهمة التطبيع بالكتابة مما أثار جدلا واسعا"<sup>26</sup>، وقد حذر بعض النقاد من فعل التطبيع الثقافي كونه "يحفر في الذاكرة ويتغلغل في العواطف والمشاعر"<sup>27</sup>، لذلك كان من الضروري تفعيل الوعي ضد هذه الأعمال حتى لا يكون لها تأثيرا على مواقف الذات العربية اتجاه القضايا القومية.

#### 4. تجليات صورة اليهودي في رواية "حمام اليهودي" لعلاء مشذوب:

تعد رواية "حمام اليهودي" للروائي العراقي علاء مشذوب واحدة من الروايات العربية التي صورت حياة اليهود، ويعود بنا صاحب الرواية إلى تاريخ الأقلية اليهودية في العراق أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث صور لنا مظاهر الحياة التي كانت سائدة زمن الاحتلال البريطاني، وكيف استقبل يهود العراق الغزو البريطاني، ونقل لنا طبيعة العلاقات السائدة بين مختلف شرائح المجتمع العراقي، كما عكف على رصد مظاهر التعايش التي سادت العراق في تلك الفترة، غير أنه طرح قضية مهمة تتمثل في أن اليهود كانوا متقبلين لفكرة الاحتلال البريطاني، رغم أنهم كانوا يتمتعون بكل حقوقهم المدنية المكفولة قانونا زمن الدولة العثمانية، وهذا ما يتضح في قوله: "كان أغلب اليهود لا يخفون سعادتهم بخروج القوات العثمانية ودخول القوات البريطانية وكانوا مرحبين بهم"<sup>28</sup>، ويأتي تأكيد هذا الموقف على لسان اليهودي يعقوب الذي صرح قائلا أن:

"اليهود جزء من المشكلة السياسية، وكراننا لجميل الدولة العثمانية عندما عاملونا كرعايا أسوة بباقي رعايها متساوين في الحقوق والواجبات فضلا عن السماح لنا بتأسيس مدارس خاصة بنا"<sup>29</sup>؛ وبالتالي يمكن القول أن واقع العراق وقتئذ لا يختلف كثيرا عن واقعها اليوم خاصة في ظل الصراع الطائفي القائم والذي يهدد وحدة الدولة العراقية.

#### 4.1. اليهود ونمطية الصورة:

تتجلى صور نمطية عن اليهود عبر مختلف مشاهد الرواية، فتحضر صورة عامة على أنهم أصحاب نشاطات تجارية، ويميلون إلى المناطق الأكثر حركة، والتي تعرف كثافة سكانية كبيرة، حيث كان "اليهود يبحثون بالعموم عن أماكن تكون فيها المراكز التجارية نشطة"<sup>30</sup>؛ وبالتالي كان لهم أثر كبير على الاقتصاد العراقي، و"عندما احتل البريطانيون بغداد كان اليهود يشكلون عنصرا مهما من حيث العدد والثروة"<sup>31</sup>، وتشير الرواية إلى أن "أكثر اليهود تركزوا في بغداد والموصل والبصرة، وكانوا يمثلون نسغ العراق الاقتصادي والمالي والتجاري، كما كان لهم دور مهم في سياسة العراق"<sup>32</sup>.

وتؤكد الرواية أن الانعزال صفة طبيعية في الإنسان اليهودي وأن جذورها تمتد إلى اليهود الأوائل حيث "لم يكن الخلل في يسع، وإنما في تركيبها النفسية الميالة للانعزال، ربما هو جذر ورثته من أجدادها اليهود"<sup>33</sup>؛ وهذه الصورة شاعت عن اليهود في الفكر العالمي منذ القرن الثامن عشر وتفيد بأن اليهود يميلون إلى الانعزال عن الآخرين وعدم الاحتكاك بهم، ولعل ذلك يرجع إلى النظرة الاستعلائية واعتقادهم بأنهم شعب الله المختار.

ويقر صاحبها بأن اليهود غير كرماء، وأنهم لا يقدمون شيء دون مقابل، وهذه الصورة كانت شائعة في الآداب العالمية المختلفة، ولقد ورد عن يعقوب قوله: "أولت وليمة كبيرة ودعيت لها أغلب تجار السوق، كما وطلبت من صادقي أن يدعوا أقاربه وأصدقائه ومن يحب... والأهم أنني أردت أن يشاع بحضور الجميع من أنني اشترت البيت"<sup>34</sup>؛ وتتأكد هذه الفكرة في قوله: "عندما رأى الهدية التي قدمت بها علم أن وراءها قصد، فهو يهودي ويعرف أساليب اليهودي"<sup>35</sup>؛ أي أن اليهودي إن أكرمك فهو يريد قضاء حاجة وراء ذلك، وجاء ذلك على لسان اليهود أنفسهم حين قال: "لم يغب عن بالي أنني غريب في هذه المتصرفية ولا يمكن أن تكون لي عزوة وجاه إلا إذا أحسنت الخلق وزهدت بالمال"<sup>36</sup>، كما تحضر صورة اليهودي الذي يغلب على تفكيره تقديس المال على حساب الدين في قوله: "نحن اليهود لا توجد عندنا عقدة الحلال والحرام، فنحن نقدر العمل، ولم يهيمن علينا الدين يوما"<sup>37</sup>؛ أي أن اليهود لا يعتقدون بوجود حياة الآخرة، وينتهي تفكيرهم في الحياة



الدنيا، وبالتالي كانت كل اهتماماتهم حول كيفية جمع المال الذي يمكنهم من الخلود حسب اعتقادهم.

غير أن علاء مشذوب حاول الخروج عن النمط المألوف في بعض المشاهد حين قدم صورة لشخصية الرجل اليهودي بوصفه "رجلا مطيعا هادئا، يحب العمل والتجارة، ويميل إلى أسرته، ويخلص في وفائه لها"<sup>38</sup>، كما رسمت صورة إيجابية عن المرأة اليهودية التي ساهمت في الاندماج وسط المجتمع العراقي من خلال معاملاتها الحسنة حيث "سرعان ما انخرطت في المجتمع الكريلائي، وأقامت العلاقات الاجتماعية، ومدت جذور الصداقة مع من يحيطها"<sup>39</sup>، وتأتي هذه الصورة تزامنا مع بروز اتجاه أدبي يعمل على تجاوز الخلافات ويحاول التقريب بين الشعوب، غير أن بعض الصفات النمطية للمرأة اليهودية كانت حاضرة في مشاهد من الرواية، حين أثارت زوجة شريكه اليهودي انتباه صديقه المسلم لما بدا عليها من تجاوز لعادات وقيم المجتمع العراقي المحافظ، ويتجلى هذا في قوله: "ثم جلست مقابلي تسألني عن ريم وأولادها بعد أن وضعت رجلها اليمنى على اليسرى، فتعجب أكبر صادقي لسلوكها، والتي تتكلم معي بحميمية لم يعهدها من قبل مع النساء من أقاربه فكيف بالأجنيبات؟"<sup>40</sup> وهذا ما يفسر سلوكيات الأقلية اليهودية التي اندمجت بصفة كلية في المجتمع العراقي، وعدم تقبلها للخروج عن القيم المتعارفة وسط المجتمع.

#### 2.4. علاقة اليهودي بالآخر:

عكست لنا الرواية مدى انفتاح المجتمع الكريلائي وتقبله لمبدأ التعايش مع الآخر المختلف، وأكدت أنه "مجتمع يتقبل الغريب والمختلف"<sup>41</sup>، وتجلى هذا المبدأ في الزيارات المتبادلة بين أبناء مختلف الملل والمذاهب، وجاء على لسان اليهودي يعقوب قوله: "بدأت عائلة جودي تزور عائلتي وأصبحت علاقاتنا الاجتماعية تتوطد أكثر، وكذلك مع بعض جيراننا، وكانت زوجتي ريم في كل مرة تُحمّل زوجة جودي ببعض الأغراض أو الطعام"<sup>42</sup>، وتعكس هذه المعاملة مدى مساهمة القيم الإنسانية القائمة على التكافل والتضامن في توحيد أبناء المجتمع الواحد.

من مظاهر التعايش الذي وقع بين المسلمين والأقليات المتواجدة في العراق تلك المعاملات المتداولة بينهم وبين غيرهم من أبناء الملل والمذاهب الدينية الأخرى، وقد تمثل هذا الأمر عبر زوجة يعقوب التي لم تشعر "بأي نوع من الاغتراب وهي تسير وسط المدينة المزدهمة والتي يقصدها كثير من فئات المسلمين من مختلف الدول الإسلامية"<sup>43</sup>، وتحمل هذه الفكرة دعوة ضمنية للعودة إلى تاريخ المجتمع العراقي الذي كان منسجما ومتحدا، ويقر يعقوب بأنه مرتاح في مدينة كربلاء لما

وجده من محبة وترحاب، ويرى أن هذه المدينة تعرف خليطاً من شتى الجنسيات، وأن بعض اليهود يعيشون فيها دون مضايقات.<sup>44</sup>

نجد أن الرواية وعلى لسان اليهودي نفسه تدعو إلى ضرورة الاتحاد بين أبناء الوطن الواحد، وأن الأديان لا يمكن أن تكون عقبة للاشتراك في الوطن، ونادى يعقوب بوجود تجسيد "مبدأ المواطنة وأن اليهودية ديناً ليس لها علاقة بالمحتل بل هي دين مشترك بين كل يهود العالم ... وأن العراق بلدنا هو وطن الجميع بغض النظر عن انتماء المواطن الديني، سواء أكان مسلماً أم مسيحياً أم يهودياً"<sup>45</sup>؛ وحملت دعوة صريحة لتجاوز الخلافات الأيديولوجية والعرقية والمذهبية من أجل العيش في كنف الوطن العراقي بسلام، حيث يعاني الشعب العراقي اليوم من تقسيمات وصراعات مذهبية وطائفية حالت دون استقرار الدولة العراقية.

تنبأ الكاتب بوجود أفكار خبيثة تسعى لتقسيم المجتمع وزرع الفتن بين أبنائه، وتجلي ذلك في تحذير يعقوب أبناء ملته من السقوط في فخ هذه الدعوات التي تسعى لتشتيت المجتمع بقوله: "كنت أنبه فيها أقربائي وأصدقائي مما تقوم به الصهيونية ستعود علينا بالضرر الكبير، وأنه من الأفضل أن نكون عراقيين فقط ننتمي للوطن حسب، دون غيره، وما الدين إلا معتقد شخصي"<sup>46</sup>، كما برزت مظاهر البحث عن الطمأنينة في قوله: "من أسباب هجرتي إلى متصرفية كربلاء هو البحث عن الطمأنينة والأمان وسط ناس لا يحملون بغير هذا المكان بلداً لهم"<sup>47</sup>، ويرى صاحب النص أن الانتماء يكون للوطن حتى وإن اختلفت الديانات، فالفرق بين أن تعيش وسط أناس تحبهم ويحبونك، رغم اختلاف الدين، أفضل من أن تعيش وسط أناس يشبهونك، دون أن يكون هناك أي رابط إنساني بينكم"<sup>48</sup>، وبالتالي حملت الرواية دعوة للتآلف والتآخي مع جميع الناس بغض النظر عن الاختلاف في المعتقد والفكر.

وقد عبر السارد عن تعجبه من مواقف بعض المسلمين من اليهود، حيث أنه لم يفهم "سر التناقض الذي يعيشه المسلم، فهو في الوقت الذي يتعامل مع التركي والإيراني والهندي والأفغاني وكل منهم يختلف عنه في القومية والشكل واللون والثقافة، بل ويتزوج معه، ويلتقي معه فقط في الدين والمذهب، في الوقت الذي يرفض الأكل والشرب والاعتسار في حمامات أناس يلتقون معه في النسب كوننا أولاد عمومته وأبناء وطن واحد"<sup>49</sup>، وهذا يكشف على قوة رابطة الدين الإسلامي التي تتجاوز الحدود اللغوية والعرقية والجغرافية، وبالتالي فهي دعوة ضمنية لضرورة توحيد المسلمين في مواجهة الآخر.

ويستفسر اليهودي يعقوب عن سبب هجرة اليهود من العراق في قوله: "أثناء سيري مع ابن عمي بنيامين إلى شورجة الأقمشة، سألته عن سبب هجرة اليهود إلى إسرائيل، والعراق بلدهم منذ آلاف السنين وإن اختلفوا مع المسلمين بالدين، في الوقت الذي لم يفكر المسيحيون بالهجرة إلى أوروبا... أو أي مكون آخر من مكونات المجتمع العراقي"<sup>50</sup>، ولعل هذا الأمر يعود للأفكار العدائية التي عملت الحركة الصهيونية على بثها في نفوس الأقليات اليهودية المنتشرة عبر العالم عامة وفي البلاد العربية بشكل خاص، وأشار إلى الطرق الخبيثة التي اعتمدها هذه الحركة في إثارة الرعب وسط يهود العراق "فبعد أن يئست الحركة الصهيونية من إقناع اليهود بالهجرة إلى فلسطين، عمدت إلى ترهيبهم"<sup>51</sup>، ونجده يبرر العداوة التي يكنها العراقيون لبعض اليهود وأن "حماسة العراقيين وتهيب شعورهم ضد اليهود يرجع إلى عدة سنوات، أي منذ أن أعلنت الحكومة الإنكليزية بواسطة بعض رجالها المسؤولين جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود"<sup>52</sup>، وأضاف سبباً آخرًا يتمثل في "تغلغل الصهاينة في فلسطين وطرد العرب المسلمين منها، ما نتج عنه حصول صدامات بين الناس بطريق غير مباشر مع اليهود في بغداد"<sup>53</sup>.

حاول صاحب "حمام اليهودي" أن يصور اليهود العراقيين بشكل موضوعي وبعيدا عن الذاتية وعقدة الآخر، حيث زواج بين حضور الصور النمطية المتمثلة في البخل واحتراف صياغة الذهب والتجارة وصفة الانعزال عن الآخرين، وصورة اليهودي المتعاشي وسط المجتمع العراقي، والمتمتع بحقوقه المكفولة قانوناً بصفته أقلية مقيمة على الأراضي العراقية، والرافض لفكرة الهجرة إلى الأراضي المقدسة، وتميزت الرواية بكونها قدمت مبررات منطقية وتاريخية للعداوة القائمة بين المسلمين العرب واليهود، حين ذكّرت بالقضية الفلسطينية والمكانة التي تحتلها في المجتمعات العربية والإسلامية.

#### خاتمة:

عالجت هذه الورقة البحثية موضوع تجليات صورة اليهودي في رواية "حمام اليهودي" للروائي العراقي علاء مشدوب، والذي حاول تصوير حياة اليهودي العراقيين زمن الدولة العثمانية والاحتلال البريطاني، وتمثلت أهم النتائج فيما يلي:

- عرف اليهود وضعاً مستقراً في البلاد الإسلامية مقارنة بوضعهم في البلاد الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عكس ما تروج له بعض الأصوات اليهودية التي تدّعي تعرضهم لمضايقات وسلب للحقوق والحريات من طرف المسلمين.

-تأثرت صورة اليهودي في الفكر الروائي العربي بالأحداث التاريخية والسياسية، وتحولت هذه الصورة نتيجة تحول التوجهات السياسية والثقافية للبلدان العربية.

-تباينت آراء النقاد العرب حول قضية سرد اليهود في الرواية العربية بين مرحب بالفكرة ومبررا موقفه بضرورة تجاوز الخلافات الإيديولوجية والسياسية في التعامل أدبيا مع الآخر، وبين رافض لها بحجة خطورة الفعل الثقافي الذي يتغلغل إلى المشاعر .

-تعد رواية "حمام اليهودي" من الروايات العربية المعاصرة المتأثرة بالزعة الأدبية الداعية للانفتاح الثقافي، والحوار مع الآخر، بهدف نبذ العنف وتجاوز الصراع الأيديولوجي والعنفي.

-حاولت هذه الرواية تقديم مبررات منطقية للصراع العربي اليهودي، حيث أقرت أن أسبابه تعود للحركة الصهيونية المعادية، والتي عملت على ترهيب اليهود المتعايشين في البلاد العربية.

-تجلت صورة اليهودي في الرواية عبر شخصية يعقوب الذي بدت عليه بعض الصفات النمطية عن الإنسان اليهودي كالبخل والانعزال، فيما أسقطت الرواية عنه بعض الصفات السلبية الأخرى كالعنف والخيانة، أما المرأة اليهودية فكانت أغلب المشاهد تصورها بصفات إيجابية كالكرم والإحسان إلى الجيران.

-قامت هذه الرواية على لغة حوارية خالية من العنف والتعصب، وجاء السرد على لسان شخصية اليهودي يعقوب، مما يعني إخراجها من صفة الذمي وإعطائه مجالاً لإبداء مواقفه.

-أبرزت لنا الرواية مدى تسامح المجتمعات العربية المسلمة وقبولها لمبدأ التعايش مع الآخر المختلف عقدياً.

## الهوامش:

<sup>1</sup> أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1119، ص: 2525

<sup>2</sup> أبي علي بن الحسن الهنائي، المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار وعمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988، ص: 440

<sup>3</sup> دانيال هنري بلجو، الأدب العام المقارن، تر: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، د ط، د ت، ص: 91

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص: 91

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص: 91

<sup>6</sup> سعيد علوش، اشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي: دراسة مقارنة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص: 147

- <sup>7</sup> محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الإستعمارية: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، تطوان-المغرب، ط1، 1994، ص: 58
- <sup>8</sup> غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط9، 2008، ص: 331
- <sup>9</sup> ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص: 112
- <sup>10</sup> غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص: 333
- <sup>11</sup> محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الإستعمارية: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، ص: 13
- <sup>12</sup> ينظر: ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص: 120، 121
- <sup>13</sup> عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية: جدل الذات والآخر، الرقمية للنشر، رام الله - فلسطين، ط 1، 2012، ص: 29
- <sup>14</sup> محمد يحي أبو ملحمة، شخصية اليهودي في الرواية السعودية: أبعادها وتعالقاتها بين النفي والتصالح، مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم والإنسانية، مجلد 24، 2016، ص: 226
- <sup>15</sup> ينظر: عادل الأسطة، المرجع نفسه، ص: 8
- <sup>16</sup> سعد البازعي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط 1، 2007، ص: 44
- <sup>17</sup> محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة: رؤية سردية مغايرة، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية لجامعة القاهرة، مجلد 34، عدد 1، 2، 2019، ص: 73
- <sup>18</sup> شهيرة بلغول، صورة اليهودي في الرواية المغاربية المعاصرة، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريج-الجزائر، ط 1، 2021، ص: 86
- <sup>19</sup> المرجع نفسه ص: 29
- <sup>20</sup> ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، 398، مارس 2013، ص: 174
- <sup>21</sup> محمد سيد أحمد متولي، المرجع نفسه، ص: 76
- <sup>22</sup> المرجع نفسه، ص: 170
- <sup>23</sup> المرجع نفسه، ص: 176
- <sup>24</sup> المرجع نفسه، ص: 174
- <sup>25</sup> ربيع محمد ربيع، يهود الرواية العربية: أسئلة قلق، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمان-الأردن، عدد 374، آذار 2020، ص: 10
- <sup>26</sup> المرجع نفسه، ص: 11
- <sup>27</sup> أمين دراوشة، صورة اليهودي في الرواية العربية بعد اتفاقيات السلام، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمان-الأردن، عدد 374، آذار 2020، ص: 29
- <sup>28</sup> علاء مشذوب، حمام اليهودي، دار سطور، بغداد، ط1، 2017، ص: 9
- <sup>29</sup> المصدر نفسه، ص: 194
- <sup>30</sup> المصدر نفسه، ص: 9
- <sup>31</sup> المصدر نفسه، ص: 10
- <sup>32</sup> المصدر نفسه، ص: 43

|    |                          |
|----|--------------------------|
| 33 | المصدر نفسه، ص: 223      |
| 34 | المصدر نفسه، ص: 90       |
| 35 | المصدر نفسه، ص: 69       |
| 36 | المصدر نفسه، ص: 54       |
| 37 | المصدر نفسه، ص: 86       |
| 38 | المصدر نفسه، ص: 223      |
| 39 | المصدر نفسه، ص: 223      |
| 40 | المصدر نفسه، ص: 89       |
| 41 | المصدر نفسه، ص: 74       |
| 42 | المصدر نفسه، ص: 57       |
| 43 | المصدر نفسه، ص: 28       |
| 44 | ينظر: المصدر نفسه، ص: 39 |
| 45 | المصدر نفسه، ص: 11       |
| 46 | المصدر نفسه، ص: 16       |
| 47 | المصدر نفسه، ص: 26       |
| 48 | المصدر نفسه، ص: 185      |
| 49 | المصدر نفسه، ص: 107      |
| 50 | المصدر نفسه، ص: 40       |
| 51 | المصدر نفسه، ص: 206      |
| 52 | المصدر نفسه، ص: 236      |
| 53 | المصدر نفسه، ص: 160      |

## المراجع:

1. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1119
2. أبي علي بن الحسن الهنائي، المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار وعمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988
3. دانيال هنري باجو، الأدب العام المقارن، تر: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، ط1، د ت.
4. سعيد علوش، اشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي: دراسة مقارنة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1986
5. محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الإستعمارية: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، تطوان - المغرب، ط1
6. غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط9، 2008
7. ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000
8. عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية: جدل الذات والآخر، الرقمية للنشر، رام الله - فلسطين، ط1، 2012

9. محمد يحي أبو ملحمة، شخصية اليهودي في الرواية السعودية: أبعادها وتعالقاتها بين النفي والتصالح، مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم والإنسانية، مجلد 24، 2016
10. سعد البازعي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط 1، 2007
11. محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة: رؤية سردية مغايرة، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية لجامعة القاهرة، مجلد 34، عدد 1، 2، 2019
12. شهرة بلغول، صورة اليهودي في الرواية المغربية المعاصرة، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريبيج-الجزائر، ط 1، 2021
13. ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، 398، مارس 2013
14. ربيع محمد ربيع، يهود الرواية العربية: أسئلة قلق، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمان-الأردن، عدد 374، آذار 2020
15. أمين دراوشة، صورة اليهودي في الرواية العربية بعد اتفاقيات السلام، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمان-الأردن، عدد 374، آذار 2020
16. علاء مشذوب، حمام اليهودي، دار سطور، بغداد، ط 1، 2017